ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلثمائة

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

في هذه السنة، فتح الروم المصيصة وطرسوس، وكان سبب ذلك: أن تقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة، ليقرب من بلاد الإسلام، وأقام بها ونقل أهله إليها، فأرسل إليه أهل طرسوس والمصيصة يبذلون له أتاوة، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم، فعزم على إجابتهم إلى ذلك.

فأتاه الخبر بأنهم قد ضعفوا وعجزوا، وأنهم لا ناصر لهم، وأن الغلاء قد اشتد عليهم، وقد عجزوا عن القوت، وأكلوا الكلاب والميتة، وقد كثر فيهم الوباء، فيموت منهم في اليوم نحو: ثلثمائة نفس، فعاد تقفور عن إجابتهم، وأحضر الرسول، وأحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته، وقال لهم: أنتم كالحية في الشتاء، تخدّر وتذبل حتى تكاد تموت، فإن أخذها إنسان، وأحسن إليها وأدفأها، انتعشت ونهشته، وأنتم إنما أطعتم لضعفكم، وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم، تأذيت بكم، وأعاد الرسول، وجمع جيوش الروم، وسار إلى المصيصة بنفسه، فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب، ووضع السيف فيهم، فقتل مهم مقتلة عظيمة، ثم رفع السيف، ونقل كل من بها/ إلى بلد الروم، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان. ج٧/١٣/ط

ثم سار إلى طرسوس، فحاصرها، فأذعن أهلها بالطاعة، وطلبوا الأمان فأجابهم إليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل، وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون، ويتركوا الباقي، ففعلوا ذلك، وساروا براً وبحراً، وسيّر معهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية، وجعل الملك المسجد الجامع بطرسوس: إصطبلاً لدوابه، وأحرق المنبر، وعمّر طرسوس وحصّنها، وجلب الميرة إليها، حتى رخصت الأسعار، وتراجع إليها كثير من أهلها، ودخلوا في طاعة الملك، وتنصّر بعضهم، وأراد المقام بها ليقرّب من بلاد المسلمين، ثم عاد إلى القسطنطينية، وأراد الدمستق ـ وهو: ابن الشمشقيق ـ أن يقصد

ميافارقين، وبها سيف الدولة، فأمره الملك باتّباعه إلى القسطنطينية، فمضى إليه[١].

ذكر مخالفة أهل أنطاكية على سيف الدولة

وفي هذه السنة، عصى أهل أنطاكية على سيف الدولة بن حمدان، وكان سبب ذلك: أن إنساناً من أهل طرسوس كان مقدّماً فيها، يسمى: رشيقاً النسيمي، كان في جملة من سلّمها إلى الروم، وخرج إلى أنطاكية، فلما وصلها، خدمه إنسان يعرف: بابن الأهوازي، كان يضمن الأرحاء بأنطاكية، فسلّم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء، وحسن له العصيان، وأعلمه: أنّ سيف الدولة بميافارقين قد عجز عن العود إلى الشام، فعصي واستولى على أنطاكية.

وسار إلى حلب، وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة ـ وهو: قرعويه ـ حروب كثيرة، صعد قرعويه إلى قلعة حلب فتحصّن بها، وأنفذ سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشارة نجدة لقرعويه، فلما علم بهم رشيق، انهزم عن حلب، فسقط عن فرسه، فنزل إليه إنسان عربي فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى قرعويه وبشارة.

ووصل ابن الأهوازي إلى أنطاكية، فأظهر إنساناً من الديلم اسمه: دزبر، وسمّاه: الأمير، وتقوّى بإنسان علوي ليقيم له الدعوة، وتسمّى هو بالأستاذ، فظلم الناس، وجمع الأموال، وقصد قرعويه إلى أنطاكية، وجرت بينهما وقعة عظيمة، فكانت على ابن الأهوازي أولاً، ثم عادت على قرعويه، فانهزم وعاد إلى حلب.

ثم إن سيف الدولة عاد من ميافارقين ـ عند فراغه من الغزاة ـ إلى حلب، فأقام بها ليلة وخرج من الغد، فواقع دزبر وابن الأهوازي، فقاتل من بها، فانهزموا وأسر دزبر وابن الأهوازي، فقتل دزبر، وسجن ابن الأهوازي مدة، ثم قتله[٢].

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٥)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٧، ١٨)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٠)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٠٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ١٦٢)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢١١، ٢١٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٤).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ١٩٤)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٠)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٥)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢١١، ٢١٢).

ذكر عصيان أهل سجستان

وفي هذه السنة، عصى أهل سجستان على أميرهم: خلف بن أحمد، وكان هذا خلف هو صاحب سجستان حينئذٍ، وكان عالماً محباً لأهل العلم، فاتفق أنه حج سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، واستخلف على أعماله إنساناً من أصحابه، يسمّى: طاهر بن الحسين، فطمع في الملك، وعصى على خلف لما عاد من الحج، فسار خلف إلى بخارى، واستنصر بالأمير منصور بن نوح، وسأله معونته، وردّه إلى ملكه، فأنجده وجهّز معه العساكر، فسار بهم نحو سجستان.

فلما أحسّ بهم طاهر، فارق مدينة خلف، وتوجّه نحو أسفرار، وعاد خلف إلى قراره وملكه، وفرّق العساكر، فلما علم طاهر بذلك، عاد إليه وغلب على سجستان، وفارقها خلف، وعاد إلى حضرة الأمير منصور/ أيضاً ببخارى، فأكرمه وأحسن إليه، وأنجده بالعساكر الكثيرة، وردّه إلى سجستان، فوافق وصوله موت طاهر وانتصاب ابنه الحسين مكانه، فحاصره خلف وضايقه، وكثر بينهم القتلى، واستظهر خلف عليه، فلما رأى ذلك، كتب إلى بخارى يعتذر ويتنصّل، ويظهر الطاعة، ويسأل الإقالة، فأجابه الأمير منصور إلى ما طلبه وكتب في تمكينه من المسير إليه، فسار من سجستان إلى بخارى، فأحسن الأمير منصور إليه، واستقر خلف بن أحمد بسجستان، ودامت أيّامه فيها، وكثرت أمواله ورجاله، فقطع ما كان يحمله إلى بخارى من الخلع والخدم والأموال التي استقرّت القاعدة عليها، فجهزت العساكر إليه، وجعل مقدّمها الحسين بن طاهر بن الحسين المذكور، فساروا إلى سجستان، وحصروا خلف بن أحمد بحصن أرك، وهو من أمنع الحصون، وأعلاها محلاً، وأعمقها خندقاً، فدام الحصار عليها سبع سنين.

ج٧/١٤/ط

وكان خلف يقاتلهم بأنواع السلاح، ويعمل بهم أنواع الخيل، حتى أنه كان يأمر بصيد الحيّات، ويجعلها في جرب، ويقذفها في المنجنيق إليهم، فكانوا ينتقلون لذلك من مكان إلى مكان، فلما طال ذلك الحصار، وفنيت الأموال والآلات، كتب نوح بن منصور إلى أبي الحسن بن سيمجور، الذي كان أمير جيوش خراسان، وكان حينئذٍ قد عزل عنها ـ على ما سنذكره ـ يأمره بالمسير إلى خلف ومحاصرته.

وكان بقهستان، فسار منها إلى سجستان، وحصر خلفاً، وكان بينهما مودّة، فأرسل إليه أبو الحسن يشير عليه بالنزول عن حصن أرك، وتسليمه إلى الحسين بن طاهر، ليصير لمن قد حصره من العساكر طريق وحجة، يعودون بها إلى بخارى فإذا تفرّقت العساكر،

عاود هو محاربة الحسين، وبكر ابن الحسين مفرداً من العساكر، فقبل خلف مشورته، وفارق حصن أرك إلى حصن الطارق، ودخل أبو الحسن السيمجوري إلى أرك، وأقام به الخطبة للأمير نوح، وانصرف عنه.

وقرر الحسين بن طاهر فيه، وسنورد ما يتجدّد فيما بعد، وكان هذا أول وهن دخل على دولة السامانية، فطمع أصحاب الأطراف فيهم، لسوء طاعة أصحابهم لهم، وقد كان ينبغي أن نورد كل حادثة من هذه الحوادث في سنته، لكننا جمعناه لقلّته، فإنه كان ينسى أوّله، لبعد ما بينه وبين آخره[١].

ذكر طاعة أهل عمان معزّ الدولة وما كان منهم

وفيها سيّر معزّ الدولة عسكراً إلى عمان، فلقوا أميرها ـ وهو: نافع، مولى: يوسف بن وجيه ـ وكان يوسف قد هلك، وملك نافع البلد بعده، وكان أسود، فدخل نافع في طاعة معزّ الدولة، وخطب له، وضرب له اسمه على الدينار والدرهم، فلما عاد العساكر عنه، وثب به أهل عمان، فأخرجوه عنهم، وأدخلوا القرامطة الهجريين إليهم، وتسلّموا البلد، فكانوا يقيمون فيه نهاراً، ويخرجون ليلاً إلى معسكرهم، وكتبوا إلى أصحابهم بهجر، يعرفونهم الخبر، ليأمروهم بما يفعلون[٢].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، ليلة السبت، رابع عشر صفر، انخسف القمر جميعه.

وفيها نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر، فانتصر الخزر بأهل خوارزم، فلم ينجدوهم، وقالوا: أنتم كفار، فإن أسلمتم نصرناكم فأسلموا، إلا ملكهم، فنصرهم أهل خوارزم، وأزالوا الترك عنهم، ثم أسلم ملكهم بعد ذلك.

وفيها رابع جُمادى الآخرة تقلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى، والد الرضى والمرتضى، نقابة العلويين، وإمارة الحاج، وكتب له منشور من ديوان الخليفة.

وفيها، أنفذ القرامطة سرية إلى عمان، والشراة في جبالها كثير، فاجتمعوا، فأوقعوا

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٦)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢٠٩) مختصراً.

(٢) ذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢١٣).

ج٧/١٥/ط

بالقرامطة، فقتلوا كثيراً منهم، وعاد/ الباقون.

وفيها ثار إنسان من القرامطة، الذين استأمنوا إلى سيف الدولة ـ واسمه: مروان ـ وكان يتقلّد السواحل لسيف الدولة، فلما تمكن ثار بحمص، فملكها وملك غيرها، فخرج إليه غلام لقرعويه، حاجب سيف الدولة، اسمه: بدر، وواقع القرمطي عدة وقعات، ففي بعضها رمى بدر مروان بنشابة مسمومة، واتفق أن أصحاب مروان أسروا بدراً، فقتله مروان، ثم عاش بعد قتله أياماً ومات[١].

وفيها، قتل المتنبي الشاعر، واسمه: أبو الطيّب أحمد بن الحسين الكندي، قريباً من النعمانية، وقتل معه ابنه، وكان قد عاد من عند عضد الدولة بفارس، فقتله الأعراب هناك، وأخذوا ما معه[٢].

الوفيات

وفيها، توفي محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي، صاحب التصانيف المشهورة[٣].

وأبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم، المفسر النحوي المقري، وكان عالماً بنحو الكوفيين، وله تفسير كبير حسن[٤].

ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه أبو بكر الشافعي، في ذي الحجة، وكان عالماً بالحديث، عالي الإسناد[٥].

ج٧/١٦/ط

وحبان: بكسر الحاء، والباء الموحدة/.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٠٣)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٢١٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ١٦١، ١٦٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (١٠٢ ـ ١٠٨)، «تاريخ الطبري» (١١/ ٤٠٨، ٤٠٩)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٨١)، «تاريخ بغداد» (٤/ ١٠٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٩٥)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٥١)، «المنتظم» (١٤/ ١٦٢ ـ ١٦٩).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (١١٢ ـ ١١٤)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٨٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦٦)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٠٥)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٥٧).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣١١)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (١١٤، ١١٥)، «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٠٦)، «المنتظم» (١٤/ ١٧٠ ـ ١٧٢)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٣٧).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٣١٢)، «تاريخ الإسلام» (١١٥، ١١٦)، «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٨)، «سير =